

كتعويض عن المشاكل العاطفية التي جابهته ، ومقامرته الكبرى كانت فكرة الصهيونية وتأسيس دولة اسرائيل .

الا ان غونين يتحيز ويتطرف حين يهاجم اعتراضات اليسار السذي يؤمن بأن الصهيونية حركة استعمارية ورجعية . فغونين يعتبر الصهيونية « حركة ثورية » بنيت على ركائز ديمقراطية ، لا بل هي « الحركة الثورية الوحيدة التي نجحت في العالم » ! (انظر ص ٥٩ - ٦١) .

اذا ، ليست الصهيونية بالنسبة لغونين حركة سياسية بحتة بل هي ثورة . ومدلول الثورة كما نعرفه هو قلب جذري لبنى المجتمع وللمفاهيم السائدة وتحقيق العدالة الاجتماعية واحترام الفرد مهما كان وضعيا وتأمين مستوى ادنى من المعيشة للجميع . والمفاهيم الثورية عادة تتخطى قوميات معينة وتستطيع تطبيقها في اي بلد من البلدان ، فاين هي هذه المفاهيم الثورية التي قدمتها الصهيونية للعالم ؟ وان كان غونين يعتبر ان تغيير مصير اليهود وايجاد وطن لهم في فلسطين ثورة بكل ما تحصل هذه الكلمة من معان ، فالرد واضح :

اولا ، كيف ننعت حركة غريبة احتلّت وطننا بالقوة وهجرت اهله ؟ الا يسمى ذلك استعمارا ؟

ثانيا ، هل كانت معاملة الصهيونيين للفلسطينيين معاملة ثورية ؟ الم يشرد الفلسطينيون ؟ الم يعامل من بقي منهم معاملة من هم ادنى من اليهودي ؟ الا تسمى تلك عنصرية ؟

ثالثا ، الم يستعمل الصهيوني على ارض فلسطين نفس الاساليب التي استعملت ضده في الغرب والتي كان اليهود يشكون منها وينبذونها ؟

رابعا ، ما مصير اليهود انفسهم في اسرائيل ؟ هل يعاملون كلهم بنفس

الى الاعتقاد بان اية حادثة تاريخية في العالم ، او اي تغيير او اية ثورة لا علاقة لها اساسا بالشعب اليهودي ومصيره ، سلبا كان ام ايجابا . ويرجع غونين هذا الشعور بالاضطهاد الى نفسية اليهودي الذي يحس بقلق عميق ازاء مصيره، وخوفه الشديد مما يخبئه له المستقبل ، وعدم ثقته بنفسه . وينتج عن ذلك ردة فعل قوية لدى اليهودي تتمثل بالكراهية والعداوة والانتقام وحب المنافسة والغلبة . وهكذا نجد عند اليهود عامة عاطفتين متناقضتين تتنازعان : كراهية يقابلها خضوع وخنوع ، وحب انتقام يقابله شعور بالنقص ، ومحاولة للوصول الى مبتغاهم يقابله عدم الثقة بالنفس .

وهناك شخصيتان لليهودي ابان تشرده: اليهودي خارج بيته وكيفية مواجهته للمجتمع الذي يعيش فيه ، واليهودي داخل بيته وفي بيئته المعينة . والشخصيتان غير منسجمتين بل متناقضتين وهذا مما ادى الى انفصام في شخصية اليهودي . وازاء هذه الحالة وبعد اضطهاد اليهود في عديد من المرات في اوربا كما يقول غونين ، احسوا انهم اذا لم يحركوا ساكنا ولم يحاولوا تغيير مصيرهم فانهم لا بد مندثرون ، وكان الحل نشوء الصهيونية . وبالرغم من ان الصهيونية هي حل سياسي بحت الا ان ركائزها دينية . لكنها في الوقت ذاته واجهت معاندة وتصلبا من رجال الدين اليهود الذين يؤمنون بان عليهم ان ينتظروا الحل من يهوه والا يتدخلوا في تقرير مصيرهم .

ويمعن غونين في تحليل نفسية مؤسس الصهيونية : تيودور هرتزل ، فيؤكد على فزعيتين عند هرتزل . اولاهما انه كان يحب امه حبا جما لكنه لا يستطيع ان يحبها حسيا ، فعوض عن ذلك بحبه اللامتناهي لاسرائيل . وثانيهما ان هرتزل كان مقامرا من الدرجة الاولى ، انغمس في لعب الميسر